Coptology

الإرتداد عن المسيحية الأرثوذكسية – ٥

بدعة تأليه الإنسان: بدعة لم تُحاكم

والمنكرون للتأله سقطوا من النعمة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

الارتداد عن المسيحية الأرثوذكسية –٥

بدعة تأليه الإنسان: بدعة لم تُحاكم،

والمنكرون للتأله سقطوا من النعمة

أصدر الأنبا شنودة الثالث كتيباً من الحجم الصغير في ٣٢ ص بعنوان "تأليه الإنسان،، وفيه يمارس هوايته المفضلة، وهي اللعب بالكلمات، وتجاهُل الموضوع المحوري أو الأصلي الذي من أجله دبَّ الخلاف بيني وبينه، وبالتحديد حول كل مؤلفات القديس أثناسيوس الرسولي، وليس فقط تجسد الكلمة، بل الرد على الأريوسيين.

تأمَّل عبارة الأنبا شنودة نفسه في صيغة سؤال استنكاري كعادته: هل الله صار إنساناً لكي يصير الإنسان إلهاً؟ ويشرح هو بنفسه (ص ١٦ من الجزء الثاني تأليه الإنسان، شركاء الطبيعة الإلهية) (نوفمبر ٢٠٠٤):

"لو أُخذت هذه العبارة على ظاهرها، لكان غرض التجسد هو تأليه الإنسان!! بينما المعروف أن الله صار إنساناً لفداء الإنسان وليس لتأليهه. وهذا واضح جداً في كتاب تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس. وواضح أيضاً من قول الرسول عن الآب إنه أرسل ابنه كفارةً لخطايانا (١يو ٤: ١٠). وأضاف بعد ذلك (يوحنا ٣: ١٦)، وشرح الحياة الأبدية على أنها "رفع عقوبة الهلاك الأبدي" (المرجع السابق ص ١٧).

ما تجنبه الأنبا شنودة عن قصد أو عن جهل:

١- هل حصر القديس أثناسيوس عطية الحياة الأبدية حسب (يوحنا ٣: ١٦) برفع العقوبة؟ غريب جداً. كيف رُفِعت عقوبة عن الإنسان الميت دون رد الحياة له؟

٢- هل الفداء هو رفع العقوبة فقط؟ هل كتب أثناسيوس الرسولي أكثر من ذلك؟ وإذا كان قد كتب، وهو فعلاً كتب ما هو أكثر، فلماذا تجنَّب الأنبا شنودة تقديم صورة كاملة لما كتبه أثناسيوس؟ إما أنه يجهل، وإما أنه يسيء القصد. والحكم هو للديان. لكن ماذا نجد في كتاب تجسد الكلمة؟ يذكر المعلم الكنسي ما يلي: "الإنسان فانٍ بطبيعته لأنه خُلِق من العدم، إلا أنه بسبب خلقته على صورة الله الكائن، كان ممكناً أن يقاوم قوة الفناء الطبيعي ويبقى في عدم فناء لو أنه أبقى الله في معرفته" (تجسد الكلمة ٤: ٦). وحاول أيها القارئ أن تقرأ اللعب بالكلام على (ص ٧)، فقد كان كمن يلعب بكرة. هو يكتب: هل الله أراد تأليهنا منذ خلقه لنا؟

وهو، أي البابا شنودة، كمحب لمفتاح الخطية، إذ يسأل لو كان هذا قصد الله، فلما أخطأ الإنسان، زال هذا القصد! ثم يضيف: وطبعاً هذا الكلام غير مقبول للأسباب التالية:

١- لو كان قصد الله أن يؤله الإنسان منذ البدء، ما كان قد خلقه قابلاً للموت ... أي أنه بطبيعة قابلة للموت وقد مات فعلاً". إذن مطلوب من الله -حسب فكر الأنبا شنودة- أن يفرض الخلود وعدم الموت على الإنسان، فلا يختار الإنسان حراً أن يظل صورة الله، وهو ما غاب من الاعتراضات الباقية وهي:

٢- لو كان قصد الله تأليه الإنسان منذ البدء لخلقه معصوماً غير قابل للخطية، لكنه كان معرضاً للخطأ. وبالفعل قد أخطأ.

وقد لا يعلم الأنبا شنودة أن الخلق "معصوماً" هو ضد الخلق "من العدم"؛ لأن

الخلق من العدم هو دعوة للنمو والنضوج بحرية اختيار جعلت القديس ايريناوس يقول إن آدم خُلق في حالة الطفولة (شرح الإيمان الرسولي). وقد لا يعلم الأنبا شنودة أن العصمة تعني بالنسبة للإنسان المخلوق من العدم عدم قدرته على تمييز الخير؛ لأن التمييز هو ثمرة حرية الاختيار.

٣- "لو كان قصد الله تأليه الإنسان، ما كان قد خلقه من تراب ....". ولست أدري ما هو القصد من الاعتراض، هل أن ينسب الجهل إلى الله، أم إنكار أن الخلق من تراب كان بمثابة دعوة لأن ينمو الإنسان ويصير روحانياً حسب شرح بولس الرسول، وليس أثناسيوس فقط (١كو ١٥ كله).

حياة حسب الله (تجسد الكلمة ٥: ١):

يقول أثناسيوس إن الله "وهبنا أيضاً بنعمة الكلمة إمكانية أن نعيش حسب الله ... وبنعمة اشتراكهم في الكلمة كان يمكنهم أن يفلتوا من الفساد الطبيعي (العدم) لو أنهم بقوا صالحين. وبسبب أن الكلمة سكن فيهم، فإن فسادهم الطبيعي لم يمسهم كما يقول سفر الحكمة" (٢: ٢٣-٢٤) (تجسد الكلمة ٥: ٢). الهلاك إذن هو الموت، وهو فقدان "نعمة مماثلة صورة الله" (تجسد الكلمة ٧: ٤)، فهل كان الخلاص رفعاً للعقوبة، أم أن أثناسيوس يكتب بكل وضوح:

١- "أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد" (٧: ٥).

٢- "الجميع ماتوا فيه .. لأن سلطان الموت قد استنفد في جسد الرب، فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر".

٣- "وبنعمة القيامة يبيد الموت ... كما تبيد النار القش (٨: ٤).

٤- "ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات" (١٠: ٢).

وقبل ذلك يؤكد العظيم أثناسيوس: "وهكذا باتخاذه جسداً مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات (٩: ٢).

وختم أثناسيوس شرحه في نهاية فصل ١٠ بأن إبادة الموت وقيامة الإنسان هو السبب الأول لتجسد المخلص (٩: ٦).

خلقتنا من تراب الأرض، ومع ذلك على صورة الله ومثاله:

خلقتنا من تراب الأرض تعني أن الإنسان بالطبيعة عاجز عن يدرك خالقه (١١: ١)، ولكن؛ لأن الله صالح في ذاته، فقد جعل لهم (البشر) نصيباً في صورته الذاتية (الذي هو) ربنا يسوع المسيح، وخلقهم على صورته ومثاله حتى انه – بسبب تلك النعمة (الصورة والمثال)، فإنهم يرون تلك الصورة، (أي كلمة الآب)، يمكنهم عن طريقه أن يصلوا إلى معرفة الآب، وإذ يعرفون خالقهم فإنهم يحيون حياة حقيقية سعيدة ومغبوطة (١١: ٣).

ولاحظ أن "على صورة الله" لا تعني شيئاً غير ما ورد في السبعينية: "حسب صورة الله"، وفي الانجليزية In the image. أما القتال الشرس حول حروف الجر، فهو قتال عبيد الحرف، إذ لا يوجد فرق لاهوتي بين "على" أو "في" أو "حسب"؛ لأن لكل لغة خصائصها. ولكن الجدير بالاهتمام هو أن الإنسان نال "نصيباً في صورة الابن الذاتية" بخلقه على صورة الله ومثاله. هو القوة العاقلة أو الإدراك (اعطاهم شركة في قوة اللوغوس) (٣: ٣)، وصار الإنسان يتبع اللوغوس مثل تبعية الظل للنور، فهو ليس ظلاً –حتى لا يتوه المعنى، بل وُهِبَ أن يعيش "حياة حسب الله"، أي حياة متألهة لأن هذه هي "نعمة اشتراكهم في الكلمة" (٥: ١).